تلبيس إبليس على الخوارج

[الكاتب : ابن الجوزي]

يقول ابن الجوزي رحمه الله ذاما الخوارج ومحذرا من طريقتهم : أول الخوارج وأقبحهم حالة ذو الخويصرة، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بعث علي رضي الله عنه من اليمن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذهبة في أديم مقروظ لم تخلص من ترابها ، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أربعة . . . بين زيد الخيل والأقرع وحابس وعينية بن حصن وعلقمة بن علاثة أو عامر بن الطفيل - شك الرواي - فوجد من ذلك بعض اصحابه والأنصار وغيرهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ، يأتيني خبر السماء صباحا ومساء)) ، ثم أتاه رجل غائر العينمين ، مشرف الوجنيتين ، ناتئ الجبهة ، كث اللحية ، مشمر الأزار ، محلوق الرأس ، فقال : (اتق الله يا رسول الله !) ، فرفع راسه إليه ، فقال : ((ويحك أليس أحق الناس أن يتقي الله أنا)) ثم ادبر ، فقال خالد رضي الله عنه : (يا رسول الله ألا أضرب عنقه ؟) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((فلعله يكون يصلي)) فقال : (رب مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ، ولا أشق بطونهم)) ، ثم نظر إليه النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقف ، فقال : ((انه سيخرج من ضئضئ هذا قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)) .

هذا الرجل يقال له ذو الخويصرة التميمي ، وفي لفظ أنه قال له : (إعدل) فقال صلى الله عليه وسلم : ((ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل)) . فهذا أول خارجي في

الإسلام ، وآفته انه رضي برأي نفسه ، ولو وقف لعلم انه لا رأي فوق رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأتباع هذا الرجل هم الذين قاتلوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وذلك انه لما طالت الحرب بين معاوية وعلي رضي الله عنهما ، رفع اصحاب معاوية رضي الله عنه المصاحف ، ودعوا علي رضي الله عنه إلى ما فيها ، وقال : (تبعثون رجلا منكم ونبعث رجلا منا ، ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله عز وجل) ، فقال الناس : قد رضينا ، فبعثوا عمروا بن العاص رضي الله عنه ، فقال أصحاب علي : ابعث أبا موسى رضي الله عنه ، فقال علي : (لا أرى أن أولي أبا موسى ، هذا ابن عباس) ، قالوا : لا نريد رجلا منك ، فبعث أبا موسى رضي الله عنه ، وأخر القضاء إلى رمضان ، فقال عروة بن اذينة : (تحكمون في أمر الله الرجال ، لا حكم إلا لله) ، ورجع علي من صفين فدخل الكوفة ، ولم تدخل معه الخوارج ، فأتوا حروراء ، فنزل بها منهم إثنا عشر ألفا ، وقالوا : لا حكم إلا لله - وكان ذلك أول ظهورهم - ونادى مناديهم : أن أمير القتال شبيب بن ربعي التميمي ، وأمير الصلاة عبد الله بن الكوا اليشكري .

وكانت الخوارج تتعبد ، إلا أن إعتقادهم أنهم أعلم من علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهذا مرض صعب .

وعن سماك بن رميل، قال : قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : إنه لما اعتزلت الخوارج ودخلوا دارا وهم ستة آلاف ، وأجمعوا على أن يخرجوا على علي ابن ابي طالب ، فكان لا يزال يجيء إنسان فيقول : يا أمير المؤمنين إن القوم خارجون عليك ، فيقول : (دعوهم ، فاني لا أقاتلهم حتى يقاتلوني ، وسوف يفعلون) ، فلما كان ذات يوم أتيته قبل صلاة الظهر فقلت له : (يا أمير المؤمنين ابرد بالصلاة ، لعلي أدخل على هؤلاء القوم فاكلمهم) ، فقال : (إني أخاف عليك) ، فقلت : (كلا) - وكنت رجلا حسن الخلق لا أؤذي أحدا - فأذن لي ، فلبست حلة من أحسن ما يكون من اليمن ، وترجلت ، فدخلت عليهم نصف النهار ، فدخلت على قوم لم أر قط اشد منهم اجتهادا ، جباههم قرحة من السجود ، وأيديهم كأنها ثفن الإبل ، وعليهم قمص مرحضة، مشمرين، مسهمة وجوههم من السهر ، فسلمت عليهم ، فقالوا : مرحبا بابن عباس ، ما جاء بك ؟ فقلت : (أتيتكم من عند المهاجرين والأنصار ، ومن عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليهم نزل القرآن ، وهم أعلم بتأويله منكم) ، فقالت طائفة منهم : لا تخاصموا

قريشا فان الله عز وجل يقول : { بل هم قوم خصمون } ، فقال إثنان أو ثلاثه لنكلمنه، فقلت : (هاتوا ما نقمتم على صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والأنصار ، وعليهم نزل وليس فيكم منهم أحد ، وهم اعلم بتأويله) ، قالوا : ثلاثا ، قلت : (هاتوا) ، قالوا : أما أحداهن فانه حكم الرجال في أمر الله ، وقد قال الله عز وجل : { إن الحكم إلا لله } فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله عز وجل ؟ فقلت : (هذه واحدة ، وماذا ؟) قالوا : وأما الثانية ، فانه قاتل وقتل ولم يسب ولم يغنم ، فإن كانوا مؤمنين فلم حل لنا قتالهم ولم يحل لنا سبيهم ؟ ، قلت : (وما الثالثة ؟) ، قالوا : فانه محا عن نفسه أمير المؤمنين ، فإنه إن لم يكن أمير المؤمنين فانه لأمير الكافرين) ، قلت : (هل عندكم غير هذا ؟) قالوا : كفانا هذا ، قالت لهم : (أما قولكم حكم الرجال في أمر الله ، أنا أقرأ عليكم في كتاب الله ما ينقض هذا ، فإذا نقض قولكم أترجعون ؟) ، قالوا : نعم ، قلت : (فان الله قد صير من حكمه إلى الرجال في ربع درهم ثمن أرنب - وتلى هذه الآية : { لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم . . . إلى آخر الآية } ، وفي المرأة وزوجها { وأن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها . . . إلى آخر الآية } - فنا شدتكم بالله هل تعلمون حكم الرجال في إصلاح ذات بينهم وفي حقن دماءهم أفضل أم حكمهم في أرنب وبضع امرأة ، فأيهما ترون أفضل ؟) ، قالوا : بل هذه ، قلت : (خرجت من هذه ؟) ، قالوا : نعم ، قلت : (وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم ، فتسبون امكم عائشة رضي الله تعالى عنها ؟! فوالله لئن قلتم لنسبينها ونستحل منها ما نستحل من غيرها لقد خرجتم من الإسلام ، فأنتم بين ضلالتين ، لأن الله عز وجل قال : { النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم } ، أخرجت من هذه ؟) ، قالوا : نعم ، قلت : (وأما قولكم محا عن نفسه أمير المؤمنين ، فأنا آتيكم بمن ترضون ، ان النبي صلى الله عليه وسلم يو الحديبية صالح المشركين أبا سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو ، فقال لعلي رضي الله عنه : ((أكتب لهم كتابا)) ، فكتب لهم علي : هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله ، فقال المشركون : والله ما نعلم انك رسول الله ، لو نعلم انك رسول الله ما قاتلناك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم : ((انك تعلم أني رسول الله ، امح يا علي ، اكتب هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله)) ، فوالله لرسول الله خير من علي، وقد محا نفسه) ، فرجع منهم ألفان . . . وخرج سائرهم فقتلوا .

وعن جندب الأزدي ، قال : (لما عدنا إلى الخوارج ونحن مع علي بن أبي طالب ،

فانتهينا إلى معسكرهم ، فإذا لهم دوي كدوي النحل من قراءة القرآن) .

وفي رواية أخرى : ان عليا رضي الله عنه لما حكم ، أتاه من الخوارج زرعة بن البرج الطائي وحرقوص بن زهير السعدي ، فدخلا عليه فقالا له : (لا حكم إلا لله) ، فقال علي : (لا حكم إلا لله) ، فقال له حرقوص : (تب من خطيئتك وارجع عن قضيتنا ، واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقي ربنا ، ولئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله عز وجل لأقاتلنك أطلب بذلك وجه الله) ، واجتمعت الخوارج في بيت عبد الله بن وهب الراسبي ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : (ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن وينسبون إلى حكم القرآن أن تكون هذه الدنيا التي إيثارها عناء آثر عنده من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول الحق ، فاخرجوا بنا) ... وكتبوا إلى علي رضي الله عنه : (إنك لم تغضب لربك ، وإنما غضبت لنفسك ، فإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة ، نظرنا فيما بيننا وبينك ، وإلا فقد نابذناك على سواء ، والسلام) ، ولقي الخوارج في طريقهم عبد الله بن خباب ، فقالوا : (هل سمعت من أبيك حديثا تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟) قال : (نعم ، سمعت أبي يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، فإن أدركت فكن عبد الله المقتول) ، قالوا : (أنت سمعت هذا من أبيك تحدثه عن رسول الله ؟) ، قال : (نعم) ، فقدموه إلى شفير النهر ، فضربوا عنقه ، فسال دمه كأنه شراك نعل ، وبقروا بطن أم ولده عما في بطنها - وكانت حبلى - ونزلوا تحت نخل مواقير بنهروان ، فسقطت رطبة فأخذها أحدهم فقذف بها في فيه ، فقال أحدهم : (أخذتها بغير حقها وبغير ثمنها ؟!) فلفظها من فيه ، واخترط أحدهم سيفه فاخذ يهزه ، فمر به خنزير لأهل الذمة فضربه به يجربه ، فقالوا : (هذا فساد في الأرض) ، فلقي صاحب الخنزير فأرضاه في ثمنه ، فبعث إليهم علي رضي الله عنهم : (اخرجوا إلينا قاتل عبد الله بن خباب) ، فقالوا : (كلنا قتله) ، فناداهم ثلاثا ، كل ذلك يقولون هذا القول ، فقال علي رضي الله عنه لأصحابه : (دونكم القوم) ، فما لبثوا أن قتلوهم ، وكان وقت القتال يقول بعضهم لبعض : (تهيأ للقاء الرب ، الرواح الرواح إلى الجنة !) ، وخرج على علي رضي الله عنه بعدهم جماعة منهم ، فبعث إليهم من قاتلهم ، ثم اجتمع عبد الرحمن بن ملجم بأصحابه وذكروا أهل النهروان فترحموا عليهم ، وقالوا : (والله ما قنعنا بالبقاء في الدنيا شيء بعد إخواننا الذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم ، فلوا أنا شرينا أنفسنا لله ، والتمسنا غير هؤلاء الأئمة الضلال ،

فثأرنا بهم إخواننا ، وأرحنا منهم العباد) .

وروى محمد بن سعد عن أشياخ له : انتدب ثلاثة نفر من الخوارج - عبد الرحمن بن ملجم والبراك بن عبد الله وعمرو ابن بكر التميمي - فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا لنقتلن الثلاثة - عليا ومعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهم - ونريح العباد منهم ، فقال ابن ملجم : (أنا لكم بعلي) ، وقال البراك : (انا لكم بمعاوية) ، وقال عمرو : (وأنا لكم بعمرو) ، فتواثقوا ألا ينقض رجل منهم رجلا عن صاحبه ، فقدم ابن ملجم الكوفة ، فلما كانت الليلة التي عزم على قتل علي رضي الله عنه فيها خرج علي رضي الله عنه لصلاة الصبح ، فضربه فاصاب جبهته إلى قرنه ، ووصل إلى دماغه ، فقال علي : (لا يفوتنكم الرجل) ، فأخذ ، فقالت أم كلثوم : (يا عدو الله قتلت امير المؤمنين باس) ، قال : (فلم تبكين إذن ؟) ، ثم قال : (والله لقد سممته فإن أخلفني فأبعده الله وأسحقه) ، فلما مات علي رضي الله عنه ، اخرج ابن ملجم ليقتل ، فقطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه ، فلم يجزع ولم يتكلم ، فكحل عينيه بسمار محمي ، فلم يجزع ، وجعل يقرأ : { اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق . . . حتى ختمها } وإن عينيه لتسيلان ، فعولج على قطع لسانه فجزع ، فقيل له : (لم تجزع ؟) ، فقال : (أكره أن أكون في الدنيا مواتا لا أذكر الله) ، وكان رجلا أسمر في جبهته أثر السجود لعنة الله عليه .

ولما أراد الحسن رضي الله عنه أن يصالح معاوية رضي الله عنه ، خرج عليه من الخوارج الجراح بن سنان ، وقال : (أشركت كما أشرك أبوك) ، ثم طعنه في أصل فخذه .

وما زالت الخوارج تخرج على الأمراء ، ولهم مذاهب مختلفة .

وكان أصحاب نافع بن الأزرق يقولون : (نحن مشركون ما دمنا في دار الشرك ، فإذا خرجنا فنحن مسلمون !) .
قالوا : ومخالفونا في المذهب مشركون ، ومرتكبوا الكبائر مشركون ، والقاعدون عن موافقتنا في القتال كفرة ، وأباح هؤلاء قتل النساء والصبيان من المسلمين ، وحكموا عليهم بالشرك .

وكان تجدة بن عامر الثقفي من القوم ، فخالف نافع بن الأزرق ، وقال بتحريم دماء المسلمين واموالهم ، وزعم أن أصحاب الذنوب من موافقيه يعذبون في غير

نار جهنم ، وان جهنم لا يعذب بها إلا مخالفوه في مذهبه . وكان بعضهم يقول : لو أكل رجلا من مال يتيم فلسين وجبت له النار ، لأن الله عز وجل أوعد على ذلك النار .

ولهم قصص تطول ، ومذاهب عجيبة ، لم أر التطويل بذكرها ، ولكن المقصود النظر في حيل إبليس وتلبيسه على هؤلاء الحمقى الذين عملوا بواقعتهم ، واعتقدوا أن علي بن أبي طالب على خطأ والمهاجرين والأنصار على خطأ ، وأنهم على صواب ، واستحلوا دماء الأطفال ، ولم يستحلوا أكل ثمرة بغير ثمنها ، وتعبوا في العبادات وسهروا وجاعوا ! ، وجزع أبن ملجم عند قطع لسانه من فوات الذكر ، واستحل قتل علي رضي الله عنه ، ثم شهروا سيوفهم على المسلمين ! ، ولا أعجب من اقتناع هؤلاء بعلمهم واعتقادهم أنهم أعلم من علي رضي الله عنه ، فقد قال ذو الخويصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (اعدل فما عدلت !) ، وما كان إبليس ليهتدي إلى هذه المخازي ، نعوذ بالله من الخذلان .

وعن محمد بن إبراهيم ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، وأعمالكم مع أعمالهم ، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)) ، أخرجاه في الصحيحين .
وعن عبد بن أبي أوفى ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((الخوارج كلاب أهل النار)) .

فصل :
ومن رأي الخوارج أنه لا تختص الإمامة بشخص إلا أن يجتمع فيه العلم والزهد ، فإذا اجتمعا كان إماما نبطيا .
ومن رأي هؤلاء أحدث المعتزلة في التحسين والتقبيح إلى العقل ، وإن العدل ما يقتضيه .
ثم حدث القدرية في زمن الصحابة ، وصار معبد الجهمي وغيلان الدمشقي والجعد بن درهم إلى القول بالقدر .
ونسج على منوال معبد الجهمي واصل بن عطاء ، وانضم إليه عمرو بن عبيد .
وفي ذلك الزمان حدثت سنة المرجئة ، حين قالوا : (لا يضر مع الإيمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة) .
ثم طالعت المعتزلة - مثل أبي هذيل العلاف والجاحظ - كتب الفلاسفة في زمان

المأمون ، واستخرجوا منها ما خلطوه بأوضاع الشرع مثل لفظ الجوهر والعرض والزمان والمكان والكون ، وأول مسالة اظهروها القول بخلق القرآن ، وحينئذ سمي هذا الفصل " علم الكلام " ، وتلت هذه مسائل الصفات مثل العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر . . .

والله الهادي لما يشاء

---

tawhed.ws | almaqdese.net | abu-qatada.com | mtj.tw

* إننا - في منبر التوحيد و الجهاد - نحرص على نشر كل ما نراه نافعا من كتابات ، إلا أن نشر مادة " ما " لكاتب " ما " ، لا يعني بحال ؛ أن ذلك الكاتب يوافقنا في كل ما نقول ، و لا يعني ؛ أننا نوافقه في كل ما يقول في كتاباته الأخرى ، و الله الموفق لكل خير .

* إننا - في منبر التوحيد والجهاد - لا ننشر إلا لكتّاب غلب عليهم الصلاح والصواب يوم نشرنا لهم، فإذا ما انحرفوا وغيروا و بدلوا - وغلب ذلك على كتاباتهم - توقفنا عن النشر لهم دون أن نزيل موادهم التي نشرناها من قبل وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين !